الحروب العثمانية – الروسية منذ بداية القرن 19م حتى نهاية الحرب العالمية الأولى (1806 – 1918م)

د. أحمد صالح علي محمد

كلية الآداب/ جامعة الزقازيق/ مصر

Ottoman-Russian wars from the beginning of the 19th century until the end of the First World War (1806-1918)

Dr. Ahmed Saleh Ali Mohammed

Faculty of Arts\ Zagazig University\ Egypt

Ahmedsaleh4464@yahoo.com

Abstract

The Ottoman Empire fought fierce wars with Tsarist Russia throughout the 19th century until the beginning of the 20th century. It is worth mentioning that Russia began its war against the Ottoman Empire (1806-1812). The Russians exploited the dispute between Sultan Selim III and Mustapha IV, In 1808, but this did not benefit the state, the Russians won the war on the state.

It is worth mentioning that the conflict between the two countries continued, as renewed conflict between them (1828-1829), the war in the country of Greece, which was exploited by Russia and European countries, especially after the elimination of the army of the Assyrians, the Ottomans were defeated by the Russian alliance European to grab the country of Greece from the grip of the Ottoman Empire, Where the Ottoman and Egyptian fleet were destroyed in the fierce battles on the Greek coast.

It is clear that the European countries want to preserve the Ottoman Empire from collapse, as it allied with the Ottoman Empire in the Crimean War (1853-1856), which ended with the victory of the European Ottoman alliance against Russia.

After the change of international interests, the European countries abandoned the support of the Ottoman Empire, where the Ottomans fought the war of the last Ottoman War of Russia (1877-1878) against the Russians, after which ended the Ottoman presence in the Balkans.

By the beginning of the 20th century, by the outbreak of World War I (1914-1918) and wars between the Ottoman Empire and Russia, the war ended with the collapse of the two states

Keywords: Wars, Ottoman, Russian, 19th century, World War I..

الملخص

خاضت الدولة العثمانية حروباً ضارية مع روسيا القيصرية طوال القرن 19م حتي بداية القرن 20م، والجدير بالذكر أن روسيا بدأت حروبها ضد الدولة العثمانية (1806–1812م)، حيث استغل الروس الخلاف الحادث على العرش بين السلطان سليم الثالث ومصطفى الرابع والذي إنتهى بجلوس السلطان محمود الثاني عام 1808م، لكن هذا لم يشفع للدولة العثمانية فقد أنتصر الروس في الحرب عليها.

والواضح هنا أن الصراع بين الدولتين أستمر، حيث تجدد النزاع بينهما (1828–1829م) وهي الحرب الواقعة في بلاد اليونان والتي أستغلتها روسيا والدول الاوروبية خاصة بعد التخلص من الجيش الانكشاري، فقد أنهزم العثمانيين أمام الحلف الروسي الأوروبي لانتزاع بلاد اليونان من قبضة الدولة العثمانية، حيث تم تدمير الأسطول العثماني والمصري في المعارك الطاحنة على السواحل اليونانية.

ومن ثم فإن الدول الاوروبية تريد الحفاظ على الدولة العثمانية من الانهيار، حيث قامت بالتحالف مع الدولة العثمانية في حرب القرم(1853–1856م)، والتي إنتهت بإنتصار التحالف العثماني الأوروبي على روسيا.

وبعد تغير المصالح الدولية قامت الدول الأوروبية بالإستغناء عن مساندة الدولة العثمانية، حيث خاض العثمانيين حرب الـ 93 الحرب العثمانية الروسية الأخيرة (1877–1878م) ضد الروس، حيث إنتهى بعد تلك الحرب الوجود العثماني في البلقان.

وببداية القرن العشرين، وبإشتعال الحرب العالمية الأولى (1914–1918م) بدأت الحرب بين الدولة العثمانية وروسيا، والتي إنتهت بأنهيار الدولتين.

الكلمات المفتاحية: حروب، العثمانية، الروسية، القرن 19م، الحرب العالمية الأولى.

المقدمة

استمر الصراع القائم بين الدولة العثمانية، وروسيا في القرن التاسع عشر، تحول الوضع من كون روسيا تحاول الوصول إلي المياه الدافئة خلال البحر الأسود، إلي محاولتها اقتسام ما تستطيع اقتسامه من ممتلكات الدولة في البلقان، فهي تظن أن الولايات العثمانية التي تشاركها في اللغة التي ستؤيدها بتدخلها في شئونها الداخلية وأنها ستحكمها بعض القضاء على الوجود العثماني في بلاد البلقان،حيث تعرض العثمانيين طوال القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، إلى حروب ضاريه امام الجيوش الأوروبية المدربة على أحدث طراز، فكانت الدولة العثمانية في ضائقة سياسية واقتصادية طاحنة في جميع الجهات. حيث استغل الروس ضعف الدولة ومشاكلها الداخلية للتخلص من الوجود العثماني في البلقان، ويزيد على ذلك استغلال الروس لواقعة التخلص من الجيش الانكشاري، حيث أصبح العثمانيين بدون جيش لحماية الدولة، لأن الجيش الانكشاري كان بمثابة كلب الحراسة الشرس ضد الأعداء، على الرغم من سوء حالته إلا أنه كان يحمي الدولة وحدودها من اعتداء الروس والدول الأوروبية على الأراضِ العثمانية. وهذا ما سنتعرف عليه في التالي:

أولا: الحرب العثمانية – الروسية (1806 – 1812م):

بدأت هذه الحرب بعد أن قامت روسيا بالتدخل لإشعال ثورة بلاد الصرب، فقد ثار الصرب عام 1806م، وتعود أسباب الثورة إلي الثورة الفرنسية التي قامت عام 1789م، والتي نشرت فكرة القومية في كافة أنحاء أوروبا، وقد إنتقلت شرارتها إلي الأقوام المسيحية للدولة العثمانية، ويزيد على ذلك معاملة الانكشارية بوجه خاص للمسيحيين في ولايات البلقان معالم سيئة، حيث كان الانكشاريون خلال هذه الأيام، قد مزقوا حاكم بلغراد وهو حاجي مصطفي باشا، ويمكننا التصور تعامل الانكشارية مع قائدهم بهذا الشكل، فكيف يمكن أن تعامل المسيحيين[1]. وقد استغل الروس تلك الأحداث أكبر استغلال وساعده ما يسمون الشعوب السلافية على التمرد والعصيان ضد الدولة.

ولم تفوت النمسا هذه الفرصة، حيث شجعت الثورة الصربية، فقد كان زعيم الثورة الصربية هو قرة يوركي صنيعة فيينا، والجدير بالذكر أنه وفي عام 1804م قد خان أسياده وتقرب إلي روسيا من حيث المذهب والقومية، وبعد كفاح طويل إحتل بلجراد وذبح بالسيف كافة المسلمين في المدينة وبغية استمرار الثورة الصربية وعدم القضاء عليها وعلى أمل الحصول على فتوحات جديدة[2]. و بتحريض من فرنسا أعلنت استانبول الحرب على روسيا[3]، ومن جهة روسيا استمرت في إثارة الفتن في الأفلاق والبغدان وبلاد البلغار واليونان، واستفحل أمر الصرب وتفاقمت ثورتهم، وفي عام 1805م تم تجديد معاهدة الدفاع المشترك على المضايق التي كانت قد عقدتها الدولة مع روسيا لمواجهة فرنسا بعد استيلائها على مصر، وفي تلك السنة أحرز نابليون بونابرت الذي قد أصبح إمبراطوراً بعد عدة إنتصارات في أوروبا على النمسا وروسيا ودخل برلين، فإنقلبت الموازين في أوروبا وأصبح لنابليون نفوذ عظيم في أوروبا على وجه العموم وفي استانبول على وجه الخصوص، إذ ضغط على السلطان سليم الثالث لإلغاء المعاهدات مع روسيا وإنجلترا، كما ضغط عليه لعزل أميري الأفلاق والبغدان الموالين لروسيا، فاستجاب السلطان سليم الثالث لضغوط نابليون في عام 1806م[4]، وكانت الدولة العثمانية ترى في

(1) يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري)، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 2010م، جـ2، صـ655.

(2) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ2، صـ655 – 656.

(3) سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحوة، ط1، القاهرة، 1996م، ص242.

(4) محمد أسامة زيد: منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، ط1، القاهرة، 2012م، جـ1، ص308.

روسيا أكبر خطر يهدد مستقبلها، وأن فرنسا وحدها هي القادرة على توجيه الضربة القاصمة لها، ومن ثم كان يلزم عليها العودة لمصادقة فرنسا[1].

وقد تصاعدت الأحداث بعد أن قررت الدولة العثمانية إغلاق المضايق في وجه السفن الحربية الروسية، فاستشاط الروس والإنجليز غضباً وإتحدوا ضد الدولة، فتقدمت روسيا بقواتها واستولت على الأفلاق والبغدان كما إقتحم الأسطول الإنجليزي مضيق الدردنيل وأرسل إلي الدولة عدة مطالب وهي كما يلي:

[1] إعادة التحالف بين الدولة العثمانية وإنجلترا وروسيا، وتسليم الأسطول العثماني وقلاع الدردنيل للأسطول الإنجليزي.

[2] أن تتنازل الدولة لروسيا عن الأفلاق والبغدان.

[3] طرد السفير الفرنسي من استانبول وإعلان الحرب على فرنسا.

ماطلت الدولة في الرد لكسب الوقت اللازم لتحصين القلاع والإستحكامات التي تمت تحت إشراف سبستياني السفير الفرنسي، كما تجمع الجنود والأهالي حول مضيق الدردنيل فاستبسلوا وعزموا على الدفاع عن استانبول حتى الرمق الأخير، بذلك أدرك قائد الأسطول الإنجليزي أنه لا يقوي على الوصول إلي استانبول فإنسحب عائداً من حيث أتي، وقبل خروجه من المضيق أطلقت القلاع مدافعها، فأغرقت سفينتان وقتل 600 جندي إنجليزي، رسي الأسطولان الإنجليزي والروسي في جزيرة بوغجة اطة بالقرب من مضيق الدردنيل لمنع السفن العثمانية من الخروج إلي البحر المتوسط، أرادت إنجلترا أن تعوض خسائرها فأرسلت حملة فريزر على ولاية مصر المحروسة عام 1807م، لكن صده المصريين في رشيد والحماد وقتلوا منهم الكثير وأضطر فريزر إلي الإنسحاب، أما عن الجبهة الروسية فقد ظل القتال دائر حتى عام 1807م، إلي أن توسط نابليون بونابرت لوقف القتال فاستجاب له الطرفان، فتم توقيع هدنة أولية بين الدولة وروسيا وتوقف القتال إلي حين آخر[2].

وبينما كانت الحرب تسير في صالح الدولة العثمانية، أنفجرت حركة عصيان كبري أعد لها المناهضين للنظام الجديد في استانبول وفي 29 مايو عام 1807م[3] تمكنت تلك الحركة التي تسمي بواقعة قاباقجي من إنزال سليم الثالث عن العرش وتعيين بدلاً منه إبن عمه مصطفي الرابع، وتم قتل السلطان سليم الثالث بدم بارد عن طريق طعنه بالخناجر، وهذه الحادثة فريدة من نوعها في التاريخ العثماني أن يقتل أحد أفراد العائلة العثمانية بسلاح أبيض فعادة ما يقتل بحبل من الحرير[4]. وبعد التخلص من السلطان سليم الثالث عادت الفوضى إلي الجيش الانكشاري في عهد السلطان الجديد مصطفي الرابع (1807 – 1808م) الذي نصبته الانكشارية مكان سليم المقتول، بعدها استمرت هزائم الدولة أمام أعدائها خاصة روسيا[5].

وفي نفس الصدد استمر الصراع بني الدولة العثمانية – روسيا، لكن الأخيرة قد عانت كثيراً من نابليون، لكن روسيا وقعت على هدنة مع الدولة العثمانية في عهد مصطفي الرابع في 25 أغسطس عام 1807م وذلك بواسطة من فرنسا، بعدما إتفق القيصر ألكسندر الأول ونابليون بونابرت قبل شهر واحد من تلك الوساطة بتوقيع معاهدة وهي (معاهدة تلسيت)، وكان من شروط تلك المعاهدة الفرنسية – الروسية أن تسحب روسيا جيشها من ولايتي الأفلاق والبغدان، على ألا يدخلهما الجيش العثماني إلا بعد إتمام الصلح النهائي، وقد ألحقت بنود سرية بمعاهدة تلسيت: وهي إتفاق روسيا وفرنسا على أنه إن رفضت الدولة العثمانية الوساطة الفرنسية، أو وافقت عليها ثم أخلت بها تعمل الدولتان فرنسا وروسيا على الإستيلاء على جميع الولايات الأوروبية للدولة وتقسيمها فيما بينهما على النحو التالي:

([1]) أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2011م، جـ1، ص85.

([2]) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، صـ308-309؛ محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1981م، ص387 – 389؛ اسمعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية ببولاق، ط1، 1312 هـ، جـ1، صـ652 – 656؛ عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م، ج1،صـ198 – 209.

([3]) سيد محمد السيد: المرجع السابق، صـ243.

([4]) عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار عن التراجم والأخبار، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، القاهرة، 2012م، جـ6، ص744 – 745.

([5]) السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (1840 – 1909م)، معهد الدراسات العربية، ط1، القاهرة، 1970م، صـ17.

تحصل فرنسا على البوسنة وألبانيا ومقدونيا واليونان، وتحصل روسيا على الأفلاق والبغدان وبلغاريا، على أن يتم استرضاء النمسا بمنحها بلاد الصرب[1].

أضف إلي ذلك، قد بدأت الحرب مجددا نتيجة لإتفاق القيصر مع نابليون، حيث وقعت إنجلترا مع الدولة العثمانية على معاهدة إتفاق في 5 يناير عام 1809م، وقد استمر الصراع العثماني – الروسي وجاء الصدر الأعظم إلي سلسترة[2]، وانهزم الجيش الروسي البالغ 60 ألف شخصا وخسر 10 آلاف قتيل في معركة تاريخية، وخسر الجيش العثماني ألف شهيد في 24 أكتوبر عام 1809م، وتقدم الروس واستردوا سلسترة ورسجق ونيكوبلي وبازارجق وهزارجراد، فقام السلطان بعزل الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا، لأن الروس بذلك أصبحوا يسيطرون على دلتا نهر الطونة والأفلاق والبغدان وقفقاسيا على امتداد البحر الأسود[3].

قام السلطان محمود الثاني (1808 – 1839م)، بإسناد الصدارة إلي لاظ أحمد باشا الذي تمكن من وقف تقدم الجيش الروسي بل وطرده من رسجق بعد حصار دام 12 يوما في 9 يوليو عام 1811م، فعرض نابليون الوساطة لكن السلطان محمود رفض تدخله بعدما علم بالبنود السرية لمعاهدة تلسيت، على الرغم من أن روسيا كانت على استعداد لإخلاء الأفلاق والبغدان التي صممت على أخذها، ونتيجة لذلك ظل القتال مشتعلا بين الجيش العثماني والجيش الروسي حتى أعلن نابليون الحرب على روسيا عام 1812م، ليس حبا في العثمانيين ولكن بسبب إخلال روسيا ببندين من بنود معاهدة تلسيت، الأول: سحب الجيش الروسي من الأفلاق والبغدان، والثاني: إغلاق موانيها أمام السفن الإنجليزية لمنعها من التجارة[4]. كما أن هناك سبباً آخر لفشل التحالف الروسي الفرنسي وهو أن مشروع تقسيم الولايات الأوروبية للدولة العثمانية بينهما قد فشل بعد عام من المفاوضات، بسبب رغبة كل منهما في الاستئثار باستانبول والمضايق، ولما اقترح السفير الفرنسي حلا وسطا بأن تحصل روسيا على استانبول ومضيق البسفور، وأن تحصل فرنسا على مضيق الدردنيل فقوبل بالرفض ففشل مشروع التقسيم[5]. ونتيجة لهذا الاختلاف أعلن نابليون الحرب على حليف الأمس.

وقد عرض نابليون بصورة مستمرة على الدولة العثمانية الإتفاق ضد روسيا ويذكرهم بأنهم قد تمكنوا من القضاء على روسيا في الجبهتين، لكن الدولة العثمانية لم تعد تعتمد على السياسة النابليونية[6].

أرادت روسيا في ذلك الوقت التفرغ للهجوم الفرنسي فوافقوا على الصلح مع الدولة العثمانية[7]، ولقد عدت فرنسا قبول الدولة العثمانية لتلك المعاهدة خيانة لما كان بين الدولتين من علاقات تاريخية، وبإبرام تلك المعاهدة تمكنت روسيا من تجميع قوتها أمام فرنسا وصد غارة الأخيرة عن بلادها، وتم إلزام نابليون للتقهقر بعد حرق مدينة موسكو، وهلك أغلب جيشه بعد انسحابه[8]. وعلاوة على ما تقدم، فلو أمعن الساسة العثمانيون النظر في الموقف الذي كانت فيه روسيا لأصبحت محروقة بكاملها من الجيش الفرنسي ولتمكنت الدولة من العيش في هدوء وسكينة حتى يتسني ويتاح لها الفرصة لبناء القوة العثمانية من جديد.

والراجح هنا أن الساسة العثمانية لم يقفوا على مجريات الأحداث السياسية بأوروبا، فإذا تركوا نابليون وليقضي على روسيا باستمرار الدولة في حربها مع روسيا، ما كان لروسيا وجود إلي وقتها، حيث قبل العثمانيون الصلح مع الروس، وعينت الدولة مندوبين للتفاوض مع مندوبي روسيا في مدينة بوخارست[9] لوضع شروط المعاهدة.

([1]) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، ص312؛ يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ2، ص668؛ محمد فريد: المرجع السابق، ص395.
([2]) سلسترة: Silistra: وتقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة بوخارست على نهر الطونة (الدانوب) انظر: محمد فريدالمرجع السابق، ص338.
([3]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ2، صـ668.
([4]) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، صـ313؛ محمد فريد: المرجع السابق، صـ400؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، جـ1، صـ663.
([5]) عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، جـ1، صـ215 – 217.
([6]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ2، صـ668.
([7])محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، صـ313.
([8])محمد فريد: المرجع السابق، صـ401؛ فشر. هـ. أ: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789 – 1950 م) ترجمة: أحمد نجيب، وديع الضبع، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1953م، صـ100 – 101
([9]) بوخارست: تسمي في الكتب التركية (بكرش) بلدة جميلة قديمة العهد ولم تشتهر إلا بعد المعاهدة التي أبرمت بين الدولة العثمانية وروسيا عام 1812م، وهي الآن عاصمة رومانيا. انظر: محمد فريد:المرجع السابق، ص 170.

ومن ثم تم عقد معاهدة بوخارست في 28 مايو عام 1812م، وتكونت المعاهدة من 16 مادة، ومن أهم بنودها: بقاء ولايتي الأفلاق والبغدان في حوزة الدولة العثمانية، ومنح الصرب استقلالاً إدارياً وأن تصبح إمارة على غرار الأفلاق والبغدان، مع بقاء الجيش العثماني في القلاع الصربية[1]، واحتفاظ روسيا بإقليم بيساربيا وأحد مصبات نهر الدانوب[2]، وفقدت الدولة العثمانية بذلك أكثر من 70 ألف كم2 من أراضيها[3]، والراجح أن الدولة استمرت في نزيف الخسائر والهزائم المتتالية التي منيت بها، والميل إلي المهادنات لإخراج الدولة بأقل الخسائر الممكنة، وعند النظر لمعاهدة بوخارست فإن الدولة وعدم فهمهم لمجريات الأحداث وافقوا وبدون تفكير على عقد المعاهدة.

وقد ترتب على ذلك أن صار استقلال الصرب نموذجاً للشعوب البلقانية الأخرى، وكان سببا في تحريض اليونانيين بوجه خاص ضد الدولة العثمانية[4].

ثانيا: الحرب العثمانية مع روسيا (1828 – 1829م):

لم تبدأ هذه الحرب مباشرة، بل كان لها مقدمات مبكرة جدا وهي ثورة اليونان، ومنذ البداية استعان السلطان محمود الثاني بوالي مصر المحروسة محمد على باشا للقضاء على تلك الثورة، ويعود ذلك لعجز الجيش الانكشاري أمام القضاء على ثورة اليونان، وفي عام 1824م أصدر السلطان فرمان أسند به ولاية المورة إلي محمد على باشا[5].

وفي تلك الأثناء وتحديداً في عام 1826م قرر السلطان محمود الثاني التخلص من الانكشارية بعد فاسد وضعهم وعدم قدرتهم القضاء على ثورة اليونان، ولذلك قام بالعديد من التعديلات في قادة الجيش وتعيين أعوانا مخلصين لمساعدته في إعادة تنظيم الجيش الجديد والتخلص من الجيش الانكشاري[6]. أراد السلطان محمود بذلك التخلص منه كما فعل محمد علي باشا بالمماليك في المذبحة الشهيرة عام 1811م[7].

والشاهد من المصادر أن السلطان محمود الثاني اتخذ القرار، وفي صباح 9 ذي القعدة 1241 هـ / 15 يونية 1826م، تقدم السلطان ووراءه جنود المدفعية و توجهوا إلي ساحة (آت – ميداني)، حيث اجتمع فيه الانكشارية ثم أحاطت المدفعية بالميدان ووجهت قذائفها صوب الانكشارية وصبت حممها فوق رؤوسهم فهربوا إلي ثكناتهم طالبين العفو، وتم دك ثكناتهم فوق رؤوسهم وكذلك تكايا الطريقة البكطاشية، وبذلك تم القضاء على الانكشارية بصورة نهائية في الواقعة الخيرية[8].

أضف إلي ذلك أنه وبعد التخلص من الجيش الانكشاري في الواقعة الخيرية، أصبحت الدولة العثمانية الواسعة المترامية الأطراف بلا جيش يدافع عنها، بمعنى آخر أصبحت الدولة بدون ردع وسيف؛ إذ أنها لم تكن قد أسست بعد جيشها الحديث، ولم يكن لديها قوة إلا جنود الولايات المتطوعين والعساكر المنصورة، ومن الطبيعي ألا تفوت روسيا فرصة الاستفادة من هذا الوضع[9].

([1]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ2، صـ669؛ محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، صـ313.
([2]) محمد فريد: المرجع السابق، صـ401.
([3]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ2، صـ669.
([4])نفس المرجع والصفحة.
([5]) هنري دودويل: الإتجاه السياسي لمصر في عهد محمد على مؤسس مصر الحديثة، ترجمة: أحمد عبد الخالق بك، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2007م، صـ80.
([6]) عمر عبد العزيز عمر: محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت)، صـ71.
([7]) حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، طـ2، القاهرة، 1938م، صـ250؛ زوات عرفان المغربي: العلاقات المصرية اليمنية"النصف الأول من القرن التاسع عشر"الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2010م، صـ54 – 55.
([8]) علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1994م، صـ169؛
Vrnit ozdag: ordu ve sigaset ilisi, gundogah yoymlari, Ankara, 1991, S, 31 – 32 ; Hasluck. F: Christianity and Islam undar the sultans, vol2, p, 619.
([9]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ9؛
Kemal soyupaki: Kara Kuvvetleri cumhuriget donemi turkiya ansix lopedisi, e. 16, Ankara, 2002, S,23- 26.

وزاد من الأمر سوء أن أصبحت الدولة العثمانية أيضاً بدون أسطول بعد تحطيم الدول الأوروبية المتحالفة الأسطول العثماني في موقعة نفارينNavarin في المورة عام 1827م[1]. بذلك أصبحت الدولة بدون جيش وأسطول وهي حادثة فريدة من نوعها في التاريخ العثماني، أن تكون الدولة مكشوفة الحدود بهذه الطريقة.

وقامت الدولة العثمانية مجبرة على توقيع معاهدة أكرمان Akkerman في 7 أكتوبر عام 1827م، حيث كانت تلك المعاهدة لا تزيد عن كونها توضيحاً لمعاهدة بوخارست عام 1812م، وبموجبها تم توسيع الاستقلال الداخلي لإمارات الأفلاق والبغدان وصربيا، كما تقرر عدم وجود أي مسلم محلي في قلاع صربيا عدا جنود الجيش العثماني، وبموجبها أيضاً ينتخب الباب العالي بكوات الأفلاق والبغدان من بين أمراء تلك المناطق (كان الوضع كذلك قبل 1711م)، وليس من بكوات الروم، ويعين الباب العالي هؤلاء الأمراء لمدة 7 سنوات، وليس له حق تغييرهم ما لم تكن هناك أسباب جدية[2].

ومن ناحية أخرى، قوبل إخماد الثورة اليونانية بالاستياء في أوروبا؛ ووقعت الدول العظمي (إنجلترا وفرنسا وروسيا) فيما بينها على إتفاقية لندن يوليو عام 1827م، وقرروا الضغط على الباب العالي لصالح اليونان، كانوا يريدون تأسيس أمارة يونانية (المورة) وإعلان إستقلالها لكن مرتبطة بالباب العالي وتدفع الجزيرة للدولة العثمانية مثل الصرب والأفلاق والبغدان، وعلى الرغم من كل تلك التداعيات فقد شاركت إنجلترا في هذا الحلف دون رغبتها، حيث أنها كانت تخشي استفادة روسيا من ضعف الدولة العثمانية، ومن ثم فإنها لم تشأ أن تترك منافستيها الكبيرتين فرنسا وروسيا كحاميتين لليونان تنفردان بتسيير دفة القضية[3].

وقد رفض السلطان محمود الثاني ذلك العرض المقدم من دول التحالف، فتجددت الثورة وعاد اليونانيون إلي القتال، ولذلك أعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية في 26 أبريل عام 1828م، وبالفعل اجتاز الروس نهر بروت Prut ودخلوا الأراضي العثمانية في 8 مايو عام 1828م وهاجموا كذلك قفقاسيا، وفي 12 مايو بدعوا في حصار انابا Anap وهي قلعة عثمانية مهمة تقع على مسافة 50 كم من القرم في مصب نهر كوبان، وسار السرعسكر مشير أغا حسين باشا من استانبول 24 مايو، وكان سيحارب بأفواج المتطوعين اختياريا، ولم يكن لديه إلا القليل من الجيش الجديد، وفي شهر يونيو احتل الروس أدرنة وسيلسترة وقارص وبايزيد وأرضروم، وأخرجوا العثمانيين من سواحل البحر الأسود الشرقية، واحتلوا الأفلاق والبغدان، واحتلوا فارنا وحضر نيقولا الأول بنفسه إلي فارنا[4]. وقد استمر التغلغل الروسي داخل الأراضي العثمانية، وتوالت الهزائم حتى وصل الروس إلي أدرنة[5].

وعند هذا الحد أصبح الجيش الروسي قاب قوسين أو أدني من استانبول، فتدخلت النمسا وإنجلترا خشية من تقدم الروس أكثر من ذلك، فيتم توقيع معاهدة أدرنة عام 1829م[6].

والخلاصة أن السلطان محمود الثاني شاهد في هذه الحرب هزائم لم ترها الدولة من قبل[7]، وبعد أن بدأت الحرب عام وأربعة أشهر و 19 يوما، طلبت الدولة الصلح بواسطة بروسيا، وبالفعل تم عقد معاهدة أدرنة التي تكونت من 18 مادة في 15 سبتمبر عام 1829م وبموجب المعاهدة استولت روسيا على مصب نهر الطونة، وصار لهم الحق في حرية الملاحة في البحر الأسود والخروج منه إلي البحر الأبيض المتوسط، وأخذنا مناطق في آسيا، وفصلوا بذلك بين الدولة وبلاد القفقاس فخسرت الدولة علاقتها بتلك الأمم القفقاسية، التي كانت من أشد أنصارها، ومن ثم سهل على روسيا إدخالها في الطاعة تدريجيا، وهكذا أصبحت السواحل الروسية في

(1) محمد فؤاد شكري: الصراع بين البرجوازية والإقطاع (1789 – 1848م)، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 2008م، جـ2، صـ467.
(2) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ9.
(3) نفسه، صـ10.
(4) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ11.
(5) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، صـ316؛ حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، ط1، القاهرة، 1921م، صـ64-65.
(6) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، جـ1، صـ316.
(7) شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السويدان، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 2011م، صـ283 – 284.

البحر الأسود مساوية تقريبا لسواحل الدولة العثمانية[1]، بل كانت للمعاهدة آثار مجحفة على الدولة؛ إذ قامت الدولة بدفع غرامة حربية لروسيا قدرها أحد عشر مليونا ونصف المليون قطعة ذهبية[2].

والراجح من فرض تلك الغرامة المالية من روسيا على الدولة العثمانية هو الإيقاع بالسلطان محمود الثاني في ضائقة مالية تعوقه عن تحقيق مشاريعه الجديدة، وفي الواقع كانت الحرب قد استنفذت مالية الدولة ودمرتها[3].

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل كان السلطان العثماني محمود الثاني على صواب في إزالة الجيش الانكشاري من الوجود، أم كان على خطأ؟! إذ دائما وأبدا كان الجيش الانكشاري هو الحارس الأمين لحدود الدولة العثمانية، لكن بعد فساده إنقلب الحال وأصبح عالة على الدولة وعلى ماليتها، بل كان يكبد الدولة الهزائم المتتالية وعلى الرغم من ذلك فإنه بعد إلغاء الانكشارية استمرت الهزائم.

ثالا: حرب القرم (1853 – 1856م):

عاشت الدولة العثمانية فترة ليست بالقصيرة دون الحرب مع روسيا، حتى نشبت حرب القرم(1853–1856م). وفي ظل تلك الإصلاحات تجدد طموح روسيا في إثارة الفتن لتقسيم أملاك الدولة ويرجع ذلك لأن روسيا خشيت من انتعاش الدولة العثمانية، لهذا اقترحت على إنجلترا عام 1853م تقسيم أملاك العثمانيين فيما بينهم، على أن تكون مصر من نصيب إنجلترا، لكن الأخيرة رفضت هذه الصفقة وذلك يرجع إلي أن إنجلترا تري سلامتها في الوقت الحالي هي المحافظة على الدولة العثمانية وذلك لتأمين طرق مستعمراتها للهند، من هنا عارضت الطموح التوسعي لروسيا، لذا عمدت روسيا إلي وجود مخرج من هذه الورطة ولتنفيذ مآربها. حيث استغلت النفوذ الفرنسي على الكاثوليك في فلسطين. فقامت روسيا ممثلة في (متشكوف) السفير الروسي في استانبول بالإعتراض على هذا الإجراء المتخذ من قبل الدولة لصالح فرنسا، لأن روسيا تجد أن لها الحق في حماية الرعايا المسيحيين في الدولة العثمانية هذا بموجب توقيع سلسلة من المعاهدات المبرمة مع الدولة، وقد رضخت الدولة بعد موافقة فرنسا للتنازل عن حقها في رعاية الكاثوليك، لكن روسيا تمادت في مطالبها لتطلب أيضاً حماية الأرثوذكس وبسبب هذا الإصرار رفض السلطان العثماني تلك المطالب الروسية، وعلى الفور جاء الرد من قبل روسيا بأن احتلت الأفلاق و البغدان في يوليو 1853م[4].

يرجع سبب نشوب حرب القرم (أكتوبر 1853 – مارس 1856) إلي إغارة روسيا على ولايتي الأفلاق والبغدان (رومانيا حاليا)[5] وعند النظر لأسباب الحرب، وهي رفض إنجلترا عرض روسيا باقتسام أملاك الدولة العثمانية وزد على ذلك رفض الدولة العثمانية طلب روسيا في حماية المسيحيين في الدولة، وبعد الآن روسيا الحرب، قامت إنجلترا بالتحالف مع الدولة العثمانية ضد روسيا، وإنضمت فرنسا بجانب إنجلترا فقد أراد نابليون الثالث أن ينال المجد الحربي لنفسه[6].

ويرجع سبب اشتراك إنجلترا وفرنسا في الحرب إلي جانب الدولة العثمانية لحمايتها من الإنهيار ولحماية البحر الأسود من الروس وإرجاعه بحيرة عثمانية[7] وكانت روسيا قد أبلغت مسبقا الدول الأوروبية أنها لن تدخل حربا شاملة وأنها احتلت الأفلاق والبغدان للضغط على الدولة العثمانية لتعترف بحقهم في حماية أرثوذكس في كنيسة القيامة في فلسطين، وعندما يتم الاستجابة لهذا المطلب ستنسحب قواتهم فورا من تلك الولايات، وفي الأيام الأولي للحرب دخل العثمانيون بقيادة عمر باشا إلي الأفلاق، وإنهزم الجيش الروسي

(1) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، ص12؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص284؛ كاميران عبد الصمد: كوردستان العثمانية"في النصف الأول من القرن التاسع عشر"، دار سبيريز للنشر، ط1، العراق، 2002م، ص182.

(2) محمد فريد: المرجع السابق، صـ411 – 417؛ اسمعيل سرهنك: المصدر السابق، جـ1، صـ667 – 685؛ حقي العظيم: تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان، مطبعة الشرقي، ط1، القاهرة، 1902م، صـ17.

(3) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ13.

(4) فشر. ه.أ: المرجع السابق، صـ319 – 320

(5) هانس كهن: القومية معناها وتاريخها: ترجمة: أمين محمود الشريف: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، 2011م، صـ190.

(6) فشر: المرجع السابق، صـ 331 – 332

(7) عبد الحكيم عبد الغني قاسم: العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق (1789 – 1919) مكتبة مدبولي،ط1، القاهرة، 2009 م، صـ244

في الحرب، أما القفقاس فلم يتمكن الجيش العثماني من التقدم إلي القفقاس، وقام الأسطول الروسي بقيادة ناخيموف يضرب الأسطول العثماني وإغراقه في سينوب في 30 نوفمبر عام 1853م وأستشهد عشرون ألف جندي عثماني في هذه الغارة الروسية[1].

واستنجد السلطان عبد المجيد بعباس باشا والي مصر المحروسة لإرسال الجيش المصري لمساندته في حرب القرم، وقد أظهر الجنود المصريون ما لديهم من قوة وشجاعة في تلك الحرب، فكانوا على درجة كبيرة من الإستعداد والتدريب الحربي، وعلى درجة عالية من التنظيم، بالإضافة إلي مشاركة الأسطول المصري بسفنه الحربية وناقلات الجنود في الحرب بجانب الأسطول العثماني[2]، ونتيجة لقوة وشجاعة الجنود المصريين فقد كانت كل المعاقل التي يحارب فيها المصريون يتكبد بها الروس خسائر فادحة، فكان من المحال أن يقف الروس أمام نيران الجنود المصريين المتواصلة فعمدوا إلي التقهقر والرجوع، ومع هذه الشراسة في القتال لم يخسر الجنود المصريون إلا خسائر طفيفة بالنسبة إلي خسائر الروس[3].

وقد ظلت الحرب مشتعلة بين روسيا والقوات المتحالفة لإخراجها من المناطق التي إحتلها والتابعة للدولة العثمانية، وبالرغم من كل هذه الحوادث تم إنشاء أول وأكبر شبكة لاسلكية (تلغراف) في العالم في الأراض العثمانية، وهي خط استانبول – فرانا – بالقلاوا (القرم) وبذلك وصلت أخبار الحرب القائمة لاستانبول لحظة بلحظة وتراجع الروس بسبب خسائرهم وأخلوا الأفلاق ودخلها العثمانيون، وبعد ذلك توجهوا مباشرة نحو تحرير البغدان، ودخل العثمانيون إلي بوخارست وسط تصفيق حار من أهلها الذين ظلمهم الروس ومارسوا فيها أشد طرق التعذيب، لذلك إنهزم الروس في حرب القرم، وتكبدوا خسائر فادحة، فقاموا بسحب قواتهم من الأفلاق والبغدان والتي سيطر عليها العثمانيين من جديد[4] وبإنتصار الحلفاء في الحرب عرض نابليون الثالث إقامة الصلح، لكن عارض بلمرستن رئيس وزراء بريطانيا، إلا أن نابليون أصر على إنهاء الحرب وعقد الصلح وهدد الإنجليز بإثارة وتحرير البولنديين بغيضا عند الإنجليز[5]. ونتيجة لهذه المفاوضات عقد الصلح في باريس 1856م. فقد انتهت الحرب بهذا الصلح وبمقتضاه:

- دخلت الدولة العثمانية في دائرة العصبة الأوروبية وأعترف لها بسيادتها التامة على رعاياها، وتعهد السلطان من جانبه أن يدخل إصلاحات جمة في الدولة العثمانية.
- تم طرد الروس وهزيمتهم من الأفلاق والبغدان وأعلن السلطان استقلالهما الذاتي الذي ألح به نابليون الثالث.
- صارت الملاحة حرة في نهر الطونة.
- أصبح البحر الأسود منطقة حياد، ولا يجوز فتحه لأية سفن حربية ولا تبني أساطيل حربية في موانيه، وأن تباح مياهه للسفن التجارية كلها على السواء، ولكن الدولة عادت ونقضت الشروط بعد أربعة عشر عاما. أي بعد سقوط نابليون الثالث، واضطرت روسيا أن توافق على إسقاط المعاهدة[6].

وتم إكراه روسيا لإرجاع قارص* للدولة العثمانية والتي كانت قد استولت عليها عنوة – علاوة على أن تتنازل عن شطر من أقاليم"بساربيا"ويضم إلي البغدان[7].

وعند النظر لشئون الحرب الإدارية من الجانب الأوروبي، نجد أنه بالرغم من أنتصار الحلفاء إلا أنهم وقعوا في العديد من الأخطاء الجسيمة في فن إدارة الحرب، فقد وصل الحال إلي أن أرسلت شحنة من الأحذية للجنود الإنجليز التي كانت لا تصلح

([1]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، صـ48-50

([2]) عمر طوسن: الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم (1853 – 1855)، دراسة حمدنا الله مصطفي، دار الكتب والوثائق، ط1، القاهرة، 2008م، صـ139 – 140 – 145

([3]) نفسه، صـ148 – 149، 154.

([4]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، صـ50 – 53

([5]) فشر: المرجع السابق، صـ224 – 225؛عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أوربا الحديثة والمعاصر (1815 – 1919)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 م، صـ160-161

([6]) عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المرجع السابق، صـ245

* قارص: Kars هي ولاية تقع في الشمال الشرقي الأناضول، أنظر: محمد فريد: المصدر السابق، ص، 262

([7]) فشر: المرجع السابق، صـ225

للإستخدام، فعند وصولها وجدت معظمها للقدم اليمني، وكانت المستشفات في حالة معيبة، بحيث ترك كثير من الجرحى في أفنيتها وكان الشتاء قارص البرودة والذي زاد من ألام الجنود[1].

أما بالنسبة لنفقات الحرب من الجانب العثماني، فاضطرت الدولة ولأول مرة في تاريخها للإستدانة من الخارج، فاقترضت الدولة خمس ملايين قطعة ذهبية بفائدة قدرها 5% من إنجلترا، بعدها أستمر الأقتراض دون أنقطاع، ومع مرور الزمن تعرضت خزينة الدولة للإفلاس[2].

على أية حال كانت هناك عدة إصلاحات قامت بها الدولة، مثل تطوير الخطوط اللاسلكية خلال مدة قصيرة، وبذلك إحتلت مكانة عالية بين الدول في مجال الخطوط اللاسلكية فإحتلت المركز الخامس بعد الولايات المتحدة، وإنجلترا، وروسيا وفرنسا قامت الدولة بمد خطوط السكك الحديدية بين أزمير – طورغودلو. لكن السكك الحديدية لم تلق أهتمام مثل الخطوط اللاسلكية، وإحتلت الدولة المركز التاسع بين الدول العظمي في هذا المجال[3].

رابعا: حرب الـ 93 (الحرب العثمانية – الروسية الأخيرة) (1877 – 1878م):

وتأتي حرب التي 93 كما يسميها العثمانيون وهي تعرف بالحرب العثمانية – الروسية الأخيرة (1877 – 1878م) خسرت فيها الدولة العثمانية الكثير.

وفي الصدد نفسه وبعد اجتماع مجلس المبعوثين في مارس 1877م، ومرورا حتى أبريل من نفس العام أعلنت روسيا الحرب على الدولة، فهل كانت الدولة مستعدة لخوض تلك الحرب منفردة دون تدخل الدول الأوروبية لحمايتها من الإنهيار؟![4]، وقد تم أقتراح إعلان الحرب في جلسات المجلس، وطالب مدحت باشا الصدر الأعظم بإعلان الحرب على روسيا، وعن الوضع العسكري للدولة ذلك الوقت ذكر العلماء من حاضري الجلسة أن ما يلزم الدولة هو التوكل على الله سبحانه وتعالي، وأصر مدحت باشا على معرفة الوضع العسكري فذكر ناظر الحربية أن عدد عساكرنا الآن يبلغ من 500 ألف إلي 600 ألف وعلى درجة كبيرة من التسليح والاستعداد، لكن قام ناظر الحربية بتحذير مدحت باشا من خوض تلك الحرب وخطورتها على الدولة، إلا أن مدحت باشا قام بالتصويت على خوض الحرب ووافق غالبية الأعداء على خوض الحرب ضد الروس[5].

وزاد الأمر سوءا أن قام مدحت باشا بتنظيم مظاهرات تنادي بالحرب، كذلك الصحف في استانبول شنت حملة شعواء للتحريض على الحرب فلم يتمكن من تفاديه السلطان عبد الحميد الثاني. فعزل مدحت باشا عن الصدارة العظيم ثم نفاه خارج البلاد مستخدما في ذلك حقه وصلاحياته التي منحها له الدستور[6].

جاءت الحرب العثمانية – الروسية الأخيرة وبالاً على الدولة العثمانية، إذ أن روسيا في القرن الأخير قد نمت نموا زائدا فصار عدد سكانها يفوق عدد سكان الدولة العثمانية أربع مرات على الأقل، ويزيد على ذلك أن بلاد البلقان من الصرب وبلغاريا والأفلاق والبغدان وغيرها يد واحدة مع روسيا، ولم تكن هذه الأسباب وحدها كافية للهزيمة التي حلت بالجيش العثماني بل حصل خطأ كبير في التدبير العسكري، وكانت لوازم الجيش ناقصة، علاوة على ما تقدم فمن الملاحظ أن الخطأ الكبير الذي وقع فيه ناظر الحربية في ذلك الوقت هو في إعطاء الدولة والسلطات المعنية تقارير خاطئة عن تجهيزات الجيش لإعلان عن الحرب، والتي ورطت الدولة في النهاية.

([1]) عبد الحكيم عبد الغني قاسم: المرجع السابق، صـ245

([2]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، صـ54 – 55.

([3]) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، صـ550

([4]) تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: تفكك أوروبا العثمانية "إنشاء دول البلقان القومية" (1804 – 1920)، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، ط1، القاهرة، 2007م، صـ128.

([5]) سليم فارس: كنز الرغائب في منتخب الجوانب، مطبعة الجوانب، ط1، استانبول 1349 هـ، جـ6، صـ37-40، وللمزيد عن مدحت باشا حياته ومذكراته انظر: أحمد صالح على: الدولة العثمانية بين الإصلاح وإلغاء الدستور في القرن التاسع عشر الميلادي (1838 – 1878م) دراسة إصلاحية مدحت باشا، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة الزقازيق 2013م.

([6]) محمد أسامة زيد: المرجع السابق، صـ347.

لهذا توغل الروس في نهر الطونة (الدانوب) وتقدموا ظافرين، وصار الجيش العثماني بقيادة السردار عبد الكريم باشا يرجع إلي الوراء، وكانت الحرب تنتهي بفشل تام للعثمانيين، وإذ بعثمان باشا قاهر الصرب جاء ودخل قلعة بلونة* واعتصم بها فجمع الروس جيوشهم، وصعدوا إليه، فكسرهم كسرة شنيعة، فأعادوا الكرة عليه ثانيا، وفي كل مرة كان يهزموهم[1]، وكان وضع الولايات الرومانية (الأفلاق والبغدان) حرجاً؛ فقد طلبت من الدولة العثمانية منذ بدء الحرب أن تمنحها الدولة الإستقلال وأن تنفصل عن كيان الدولة العثمانية وفي هذه الحالة تبقي على الحياد في الحرب لكن الدولة رفضت هذا الطلب بخشونة، وهكذا رمي بشعب لاتيني في أحضان روسيا التي تتزعم السلاف وإشتراك القوات الرومانية الفتية في الحرب بجانب روسيا، قضي علي التوازن الموجود في جبهة الطونة[2].

وعلى نفس الوتيرة فقد جاء قيصر روسيا أسكندر الثاني بنفسه إلي رومانيا، ليخطب فيهم بإسم النصرانية قائلا:"أنها كلها تحت الخطر فانجده الرومانيون بـ 70 ألف عسكري، أضيفت تلك القوات للقوات الروسية المحاصرة لعثمان باشا في بلونة مع هذا فلولا نفاذ الذخيرة لما إستطاعت تلك الجيوش أن تتغلب علي عثمان باشا، وفي آخر المطاف أراد عثمان باشا أن يخترق جيوش الروس برغم كثافتها وينفذ إلي الخارج، فوقع جريحا فاضطر إلي الرجوع نحو بلونة، وعرض علي إمبراطور روسيا الاستسلام، ولما دخل عليه، وأراد أن يسلمه سيفه كما هي عادة كل المستسلمين، قال له الإمبراطور أن قائدا مثلك يحق له أن يبقي سيفه معه وبالغ القيصر في إكرامه[3].

أما علي الجبهة الثانية جبهة الأناضول فتمكن الروس بعد أن وصل لهم إمدادات من الاستيلاء علي قارص* واضطر أحمد مختار باشا** إلي التراجع العسكري لكن وبعد سقوط بلونة وقارص أعلن كل من الصرب والجبل الأسود الحرب علي الدولة العثمانية، وبذلك أصبحت الدولة تحارب روسيا والصرب والجبل الأسود ورومانيا ومن ينضم إليهم من رعاياها النصاري، ووصل الروس إلي أدرنة ومنها إلي سان أستيفانوس*** فوجب وقف إطلاق النار وعقد المعاهدة[4]، لكن لم يستسلم أي جندي عثماني إلا بعد مقاومة عنيفة بإعتراف من القادة الروس، وإذا كان الجيش الروسي قد حقق انتصارات بعد ذلك لكن بتكلفة عالية في الأرواح والمعدات وزيادة الأعباء المالية عليهم[5]، وتخلت إنجلترا عن مساندة الدولة العثمانية بهذا قررت إنجلترا التخلي عن فكرة الحفاظ علي جسد الدولة وعلى كيانها وتركها لمواجهة مصيرها وهو الإنهيار[6].

أضف إلي ذلك ونتيجة لهزيمة العثمانيين علي جميع الجبهات، قام السلطان عبد الحميد الثاني بحل مجلس المبعوثين وتعليق العمل بالدستور في 14 فبراير 1878م، وعودة السلطة كاملة بيد السلطان عبد الحميد الثاني[7].

وإنتهت الحرب العثمانية – الروسية (1877–1878م) بتوقيع معاهدة سان أستيفانوس والتي كانت مجحفة على الدولة العثمانية[8]، وتولي التفاوض وزير الخارجية صفوت باشا وسفير الدولة في برلين سعد الله باشا في 15 فبراير 1878م والتي إنتهت

---

* بلونة: هي تقع في شمال بلغاريا، انظر محمد أسامة زيد: المرجع السابق، صـ347.

(1) شكيب أرسلان: المرجع السابق صـ300 – 301.

(2) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ108.

(3) شكيب أرسلان: المرجع السابق، صـ301.

* قارص: Kars: تقع في الشمال الشرقي للأناضول انظر: محمد فريد: المرجع السابق، صـ362.

** أحمد مختار باشا: (1839 – 1918م) من مشاهير القادة العثمانيين في العهد الأخير للدولة العثمانية بالإضافة إلي كونه قائدا مشهورا فإنه عالم فلك ورجل سياسة وأنتصر علي الروس في موقعة كدكلر (فيزبل تيه) في 25 أغسطس سنة 1877م لذلك منحه السلطان عبد الحميد الثاني لقب غازي، وأرسله إلي مصر في مهمة غير عادية عام 1893م وأحيل إلي التقاعد قبل عزل السلطان عبد الحميد. انظر: مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: ترجمة محمد حرب، دار الحياة، ط1، القاهرة، 2014م صـ211.

*** سان أستيفانوس: معناها القديس أسطفان، وهي قرية أو ضاحية من ضواحي استانبول علي الضفة الأوروبية وتقع علي بحر مرمرة، انظر: محمد فريد المرجع السابق صـ642.

(4) محمد أسامة زيد: مرجع سابق، صـ348 – 349.

(5) نادية مصطفي وآخرون: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي"العصر العثماني من القوة والهيمنة إلي بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، القاهرة، 1996م، جـ11، صـ181.

(6) تهاني شوقي عبد الرحمن: الأصول التاريخية للمسلمين في البلقان، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2010م، صـ57

(7) نفس المرجع والصفحة.

(8) عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (1864 – 1914م)، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1969م، صـ45-46، وليد رضوان: العلاقات العربية التركية: دور اليهود والتحالفات الدولية والإقليمية في العلاقات لعربية التركية"العلاقات السورية – التركية نموذجا شركة المطبوعات

بتوقيعهما عليها وهما يذرفان الدموع، وتولي المفاوضات عن روسيا الجنرال كونت، ونتيجة لتوقيع المعاهدة فقدت الدولة الكثير من أراضيها في البلقان[1].

وأهم ما جاء في معاهدة سان أستفانوس:

- تعيين حدود للجبل الأسود لإنهاء النزاع، وتحصل هذه الولاية علي الاستقلال.
- تعلن الدولة العثمانية استقلال الصرب وتضاف إليها أراض جديدة.
- تستقل بلغاريا استقلالاً ذاتياً إدارياً، وتدفع مبلغا محددا للدولة العثمانية ويكون موظفو الدولة والجنود من النصاري فقط وتعيين الحدود بمعرفة العثمانيين والروس، وينتخب الأمير من قبل السكان ويخلي العثمانيون جنودهم نهائيا من بلغاريا.
- تحصل الأفلاق والبغدان (رومانيا) علي استقلالها التام.
- يتعهد الباب العالي بحماية الأرمن والنصاري من الأكراد والشركس.
- يقوم الباب العالي بإصلاح أوضاع النصاري في جزيرة كريت.
- تدفع الدولة العثمانية غرامة حربية قدرها 250 مليون ليرة ذهبية ويمكن لروسيا أن تتسلم أراض مقابل المبلغ.
- تبقي المضايق (البوسفور و الدردنيل) مفتوحة للسفن الروسية في السلم والحرب.
- يمكن للمسلمين في بلغاريا أن يهاجروا إلي حيث يريدون من أجزاء الدولة العثمانية(2).

وبمجرد معرفة الدول الأوربية بنصوص معاهدة سان أستيفانوس رفضتها شكلا وموضوعا، وأصرت علي تغيرها، وبالفعل تم فرض مؤتمر برلين علي الدولة العثمانية وروسيا في 13 يوليو 1878م وذلك لإعادة رسم الخريطة الإستراتيجية للبلقان، وكان الفضل في عقد المؤتمر للمستشار الألماني بسمارك لأنه خشي علي الدول الأوروبية من الوقيعة بينهم بسبب الصراع حول دول البلقان التي خسرتا الدولة وقيام حرب كبري فيما بعد[3].

أهم البنود الواردة في معاهدة برلين:

- استقلال بلغاريا وتعديل حدودها، وتتشكل في جنوب البلقان ولاية باسم الروملي الشرقي تكون تحت السيادة العثمانية سياسيا وعسكريا، ويحكمها نصراني يعين لمدة خمس سنوات باتفاق الدول، وتبقي قوة عسكرية لروسيا في بلغاريا والروملي الشرقي، وتحدد بخمسين ألف جندي.
- تقديم حدود اليونان قليلا إلي الشمال مع العلم بأن اليونان لم تدخل في النزاع ولم تشمل معاهد سان أستفانوس أي جزء منها.
- ضم البوسنة والهرسك لأراض النمسا.
- ضم بساربيا إلي روسيا بعد اقتلاعها من الأفلاق والبغدان، وتضم مقاطعة دوبروجية، ومنح الأفلاق والبغدان الاستقلال التام.
- استقلال الصرب والجبل الأسود.
- ضم مدن قارص وردهان وباطوم إلى روسيا.
- قرر المؤتمر الإبقاء علي الغرامة الحربية التي تم إقرارها في معاهدة سان أستفانوس علي الدولة العثمانية ومقدارها 250 مليون ليرة ذهبية.
- تعهد الباب العالي بأن يقبل بعدم وجود تمييز بين رعايا الدولة في الشهادة أمام المحاكم.

للتوزيع والنشر، ط1، بيروت 2006م، ص19؛ Stanford J. Show :History of the ottoman Empire and modern Turkey, vol2, Cambridge, London, 2005, P .187 – 188

(1)يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ121، نصوص معاهدة سان أستيفانوس وتفاصيلها ونتائجها، انظر: إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض، 1998م، صـ192 – 193؛ liam Miller The ottoman Empire and its successors (1801 - 1927)، London، 1966 P .428 – 429

(2) إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، صـ192 – 193.

(3) يلماز أوزتونا: المرجع السابق جـ3، ص132، وللاطلاع على نصوصـ معاهدة برلين، انظر: إسماعيل ياغي: المرجع السابق، صـ194 – 195.

– الموافقة علي تحسين أوضاع النصاري في جزيرة كريت(1).

وعند النظر لموقف الدول الكبرى قبل الحرب وبعد الحرب يتضح أنها ستضع عدة أمور منها: قبل الحرب هو الاتفاق علي عدم خوض الحرب بجوار الدولة التي بالكاد استنفذت قوتها، وتركها لمصيرها المحتوم وهو الإنهيار فيتضح موقف فرنسا التي علي مبدأ رغبة في التعاون مع إنجلترا ضد روسيا ويتضح أن إنجلترا لا يمكنها الاعتماد علي فرنسا ضد روسيا لسببين:

الأول: أن الفرنسيين ليست لديهم رغبة في مقاومة روسيا أملا في أن تتحالف معهم في المستقبل ضد ألمانيا.

والثاني: أنهم يخشون أن تؤدي الحرب إلي تفوق إنجلترا في منطقة شرق البحر المتوسط أما عن إنجلترا وموقعها وأهدافها فهي تهدف للسيطرة علي المضايق في البحر الأسود واستانبول، وشهدت إنجلترا صراعا كبيرا وانقسامات حادة حول ما تريده؛ فهل تؤيد السلام ؟ لكن السلام لا يمكن تحقيقه بسبب تلك الخلافات بين الروس والعثمانيين، والحرب تعني انتصار روسيا وسيطرتها علي المضايق بالإضافة إلي البحر الأسود وبالتالي تهدد مصالح وأطماع إنجلترا في الشرق الأدنى والهند، وهذا ما يعني ضرورة اشتراك إنجلترا في الحرب، لكنها في النهاية تركت الدولة العثمانية لتواجه مصيرها(2)، أما عن الموقف ما بعد الحرب، هو عدم ترك روسيا تنفرد بالسيطرة علي البلقان؛ فكانت الدول الأوروبية علي مشارف حرب عالمية، لكن وبسبب الدبلوماسية الألمانية للرجل الحديدي بسمارك، تم الاتفاق في مؤتمر برلين عام 1878م علي اقتسام أملاك الدولة العثمانية في البلقان(3).

وتشير الدلائل أن الهزائم المتتالية التي مرت بها الدولة العثمانية تركت ميراث سيئا سوءا علي الحياة العسكرية أو الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد أثرت تلك الهزائم علي مجريات الأحداث في الدولة، فتأثر بها كافة طبقات المجتمع العثماني، والتي عانت كثيرا من تلك الهزائم، والتي تركت أثرا سلبيا علي جيوش الدولة العثمانية، وأثرا ايجابيا علي الجيوش الأوروبية لعدم مقدرة جيوش الدولة العثمانية خوض أي حرب منفردة ضد أي إعتداء فلو خاضت الدولة أي حرب منفردة لخسرت الكثير من أراضيها.

وكان الفضل يرجع في عقد المؤتمر للمستشار الألماني بسمارك، لأنه قد خشي من تعرض الدول الكبرى لأي خصومات حول اقتسام دول البلقان فتنشب بذلك حرب كبري بين روسيا وإنجلترا. بسبب سحق روسيا للدولة العثمانية بشكل مفجع في حرب الـ93(4). ومن الواضح أن مدحت باشا والمجلس النيابي هما من تسببا في الحرب.

خامسا: الحرب العالمية الأولي، الحملة القوقازية (1914 – 1918م):

أوقد شرارة الحرب العالمية الأولي، اغتيال ولي عهد النمسا في البوسنة علي يد إرهابي صربي، ونتيجة لذلك أعلنت النمسا الحرب ضد الصرب(5). وكانت روسيا وراء الأسباب الحقيقة التي أشعلت فتيل لحرب العالمية الأولي بتأجيجها نار التعصب السلافي في البلقان، وهي التي حركت دولة ولم تسمح بإذلال صربيا لاعتبار نفسها الراعي القوي للدول السلافية. ومهما كانت أسباب الحرب فان حكام إمبراطورية النمسا والمجر التفتوا نحو حليفتهم ألمانيا وطمأنهم القيصر الألماني (ولهلم الثاني) ومستشاره (بيتمان) بتقديم المساعدة إذا ما حاول الروس تأييد جانب الصرب ورغم قبول الحكومة الصربية للإنذار الموجه إليها من النمسا فلم يرض حكام الإمبراطورية، انقطعت العلاقات الدبلوماسية بينهما وأعلنت الحرب في اليوم التالي. ولم يسمح الروس بتهديد منافذهم إلي البحر الأبيض المتوسط فيما إذا سيطرت ألمانيا والنمسا علي البلقان، ولكنهم لم يتوقعنا أن انفلات زمام الأمور إلي هذا الحد. كانت روسيا في بداية الحرب تشكل خضما من البشر قوامه الفلاحية والقوزاق، وتعدد الشعوب التي ألهبتها سياط مالكي السلطة، وساقتها عصا القيصر إلي حتفها بالقوة المستحكمة من جهة ويتفشي الجهل من جهة أخري. وهاتان هما الدعامتان الأساسيتان اللتان يستخدمها كل ملك

(1) إسماعيل أحمد ياغي: المرجع السابق، صـ195.
(2) محمد صبري الدالي: القوي الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2014م، صـ469.
(3) عبد الرؤوسف سنو: النزاعات الكيانية في الدولة العثمانية (1877 – 1881 م) بلاد الشام، الحجـاز – كردستان – ألبانيا، ميسان للنشر، ط1، بيروت، 1998م، صـ150؛ Ramsauur E: The yang Turks prelude to the revolution of, P, 405.
(4) يلماز أوزتونا: المرجع السابق،ج3، صـ133
(5) يلماز أوزتونا: المرجع السابق، جـ3، صـ232.

متجبر وطاغية مستبد وكان الروس اقرب إلي الأقنان وبلاهم نهبا موزعا بين استثمارات أوروبا الغربية والكنيسة المتحالفة مع القيصر في إذلالها للشعب. وقد هدف الألمان من قتال الروس إبعادهم عن الساحة لعل الحلفاء الغربيين يقنعون بضرورة المساومة علي إنهاء الحرب بشروط عادلة لمصلحتهم[1].

وألمحت الحكومة الألمانية إلي القيصر أنها تود عقد الصلح معه علي أساس الموقف الراهن آنذاك، ولكنه لم يستجب لذلك وظل مخلصا للفرنسيين هو يخشي تزعزع مركزه في بلاده إذا ما قبل بما هو أقل من النصر. بذا كان الموقف الروسي عجيبا فهي لا تستطيع كسب الحرب ولا التخلي عنها. أما تدخلهم في شئون الدولة العثمانية آنذاك فقد كان له بالغ الأثر. وما أن أخمدت نار الحرب البلقانية حتي قاموا بتحريض الأرمن علي الثورة. كما أنهم طالبوا بمنح ولايات الأناضول الشرقية امتيازات كما هو الحال في لبنان، ومع ذلك فان الأتراك دخلوا في مفاوضات معهم علي هذا الأساس، ولكن تدخل الألمان حال دون الحصول علي نتائج تذكر. وفي فبراير من عام 1914م وقع الصدر الأعظم"سعيد حليم باشا"اتفاقا مع روسيا قضي بتقسيم الولايات الشرقية إلي منطقتين علي أن يعين في كل منطقة مفتش عام من رعايا الدول الصغرى، وأن يمنح النصاري وهم أقلية ضئيلة في جميع الولايات المذكورة حق تعيينهم في المجالس الإدارية وأن تكون كل الوظائف الإدارية والعدلية والعسكرية مناصفة بني المسلمين والنصاري. وقام الأكراد بثورتهم وكانت روسيا وراءهم وثبت بالدليل القاطع أنها هي التي حرضتهم[2].

الدولة العثمانية والموقف الدولي:

كان الصدر الأعظم"سعيد حليم باشا"لا يثق في أوروبا الأمر الذي أثر علي السياسة الخارجية، ولكنه سرعان ما اصطدم بالأمر الواقع فأما الإنضمام إلي إنجلترا وروسيا وفرنسا وإما إلي ألمانيا والنمسا وإيطاليا. ولكن العداء المستحكم بين العثمانيين والروس جعل الأتراك يعتقدون أن الخطر الروسي علي بلادهم أعظم بكثير من الخطر الأوروبي، فلذلك فضلوا الإنحياز إلي الجبهة المضادة لروسيا ومما زاد في كرههم لروسيا عرضها اقتراحاً بعقد اتفاق معهم بجعل الدولة العثمانية تحت الحماية الروسية. ومن جانب آخر كانت تودور مفاوضات بين الدولة العثمانية وألمانيا سراً حتي أن الإعلان أنفسهم حاولوا تقريب وجهات النظر بين اليونانيين والأتراك بعد فشلهم في معركة المارن واحتلال باريس، وتقدم الجيش الروسي في بروسيا و ومن ثم فشله وانسحابه عند ذلك أصبح من الضروري لدي العثمانيين القيام بعلمية عسكرية في البحر الأسود علي حدود القوقاز كي تضطر روسيا إلي سحب بعض قواتها من الجبهة الألمانية والجبهة النمساوية إلي الجبهة العثمانية فيخف الضغط عن ألمانيا والنمسا. ولكن أنور باشا لم يوفق في مجلس الوزراء علي إقرار خطته وتذرع بالحيلة كي يفرض الأمر الواقع. وأراد الألمان حمل السلطة العثمانية علي دخول الحرب مهما كانت السبل، وبعد أخذ ورد بين الوزراء العثمانيين ومجادلات طويلة كانت أثناءها الحكومة في ضائقة مالية شديدة فاضطرت إلي الطلب من ألمانيا مبلغا قدره خمسة ملايين ليرة، واشترط الألمان دخول الدولة العثمانية الحرب إلي جانبهم وقبل الباب العالي بذلك[3].

ووصلت السبائك الذهبية المطلوبة فعلا واجتمع مجلس الحرب العثمانية في 25 أكتوبر عام 1915م ونظر في اقتراح قدمه أنور باشا طالب بدخول الحرب إلي جانب الألمان فكان بين مؤيد ومعارض وانقسم المجلس واتسع الخلاف، فتوسط البعض ووضعت القوات البحرية العثمانية تحت تصرف وزارة البحرية وقائد قوات الجيش أنور باشا. وفي اليوم نفسه أرسل أنور باعتباره وكيل القائد العام أوامر سرية وسريعة إلي كافة القادة في الأسطول البحري تقضي بتنفيذهم أوامر الأميرال سوشون دون قيد أو شرط، وتشير الوثائق إلي أن معركة البحر الأسود قد تم الاتفاق عليها بين الألمان وأنور منذ تاريخ 22 أكتوبر وقد حصل لدى الروس علم بها[4].

أما عن المعركة البحرية ففي 29 أكتوبر من نفس العام وقعت المعركة، ولكن كتمت أخبارها عن الرأي العام لمدة يومين حتي أن الوزراء لم يكونوا علي علم بها إلي أن نشترها شركة البرقيات العثمانية وفي 219 من الشهر نفسه تلقي الأميرال الروسي برقية من

---

(1) علي حسون :العثمانيون والروس، المكتب الاسلامي، ط1، بيروت،1982م،ص166-167.
(2) نفسه،ص167.
(3) **علي حسون :** المرجع السابق، ص168.
(4) نفسه،ص169.

أوديسا[1] تفيدان بان قطعتين من قطع الأسطول العثماني دخلتا في الساعة الثالثة تماما إلي مرفأ المدينة وأغرقتا الطراد الروسي (دويتر) الذي كان علي غير استعداد، فقابلهما الطراد (كومونيتر) وأطلق مدفعيته الأمر الذي أدي إلي انسحابهما. وأصدر الأميرال الروسي فورا تعاليمه اللازمة ثم شوهدت الدارعة (غوبن) في الساعة السابعة تماما تقدم نحو سيباستيبول وأطلقت قنابلها لمدة 20 دقيقة علي المدينة وانسحبت وأغرقت في طريق انسحابها باخرة التقلبات (باروت). وفي الوقت نفسه كانت تدور معركة بين (برسلو) والدارعة (كيفاتودوسيا) وبين (حميدية) و (توفورسك). إثر هذه المعركة البحرية دخل العثمانيين الحرب. وزار السفير الإنجليزي والسفير الفرنسي السفير الروسي في الأستانة واتفقوا علي توجيه إنذار للدولة العثمانية بعد أن استأذنوا حكوماتهم – يقضي بطرد البحارة والضباط الألمان من الأسطول العثماني أو أنهم يغادرون العاصمة. وغادر السفراء الثلاثة الأستانة رغم محاولات الصدر الأعظم لإقناعهم. وكانت حكومة القيصر الروسي تخشي من انضمام الدولة العثمانية إلي جانب الحلفاء أو الوقوف علي الحياد لأنها ستضطر حينذاك إلي عدم التدخل في شئون الدولة العثمانية تحت ضغط الإنجليز والفرنسيين وإلي فقدان أملها القديم بالإستيلاء علي الأستانة، وقد كتب (سازانوف) وزير الخارجية الروسي آنذاك إلي ملحقة العسكري في الأستانة وفيما يقول ما دمنا لم نأخذ جوابا من بلغاريا عن موقفها في الحرب الحاضرة، فجرب في أحاديث مع أنور أن تكسب الوقت لأننا لا نخشى من هجوم تركيا علينا أبدا. وتضاربت آراء الحلفاء بشأن دخول العثمانيين الحرب ورغبت فرنسا في عدم دخولهم إلي جانب القوي الحليفة وفي ذهنها الحرص علي مصالحها وأطماعها في البلاد العثمانية، أما الإنجليز فرغبوا في انضمام الأتراك إلي جانبهم نظرا لمقتضيات مصالحهم[2].

أما عن الحرب في القوقاز كان عدد القوات العثمانية بعد البدء في التعبئة العامة في صيف عام 1916م قرابة النصف مليون جندي يحملون السلاح يضاف إليهم ربع مليون آخرين تحت التدريب العسكري وبلغ تعداد القوة العسكرية حول الدردنيل والأستانة حوالي 200 ألف جندي وتمركز خمسون ألف في تراقيا وأربعون ألفاً آخرين في فلسطين إضافة إلي قوات أخري من العشائر وقطعا متناثرة في القوقاز وسوريا وغيرها. كان الرأي السائد لدي الحلفاء أن تلك الجبهة لن تحرك ساكنا ضد روسيا طيلة فصل الشتاء المعروف بقساوته وشدته هناك إضافة إلي غموض موقف اليونان والبلغار ولكن العثمانيين وبقصد مناصرة حليفتهم ألمانيا وتخفيف الضغط عنها، استجابوا لمناشدتها كما ذكرت سابقا وفتحوا الجبهة بتضحيات جبارة رغم وعورة المسالك الجبلية ورداءة الأحوال الجوية، وأصدروا أوامرهم بالهجوم وقد اتخذوا مدينة أرضروم[3] قاعدة لهم وتولي أنور باشا بنفسه قيادة الجيش الذي بلغ تعداده حوالي المائة والخمسين ألف جندي وحاول تطبيق الأساليب الحربية الألمانية، لكنها فشلت لإختلاف طبيعة الأرض وحلول فصل الشتاء. وكان الروس أول من بدأ المعارك وإجتازت فرقة من جيشهم الحدود في 13 نوفمبر فأرغمتهم القوات العثمانية علي التراجع بعد أن ألحقت بهم خسارة عظيمة وفي أواخر نوفمبر بدأت القوات التركية بالتقدم نحو روسيا وحاول أنور تطويق القوات الروسية الزاحفة ولكن عمليته فشلت. وقضي الروس علي بعض الفرق واضطر العثمانيين في أوساط شهر يناير التراجع إلي أرضروم مركزهم الرئيسي. كانت بذلك خسارة العثمانيين فادحة حقاً وأخطأت القيادة في توقيت هجومها عبر جبال تعلو حوالي العشرة آلاف قدم عن سطح البحر ولكن الغية الحقيقة من وراء ذلك كانت إجبار روسيا علي سحب بعض جنودها من الشرق لتخفيف الضغط عن ألمانيا والنمسا وقد وفقوا في نيلها رغم تكاليف هذا النجاح الباهظة[4].

وأثناء الحرب العالمية الأولى قامت الثورة البلشفية في روسيا مما أضطرها إلى الإنسحاب من الحرب في ابريل من عام 1917م. وبالفعل كانت روسيا القيصرية علي وشك الخروج من الحرب وقد ساءت الأحوال الاقتصادية إبان فصل الشتاء لدرجة كبيرة، ونقصت الأغذية وتوالت الهزائم المنكرة في الجبهة وفسدت الإدارة الحكومية والقيادة العسكرية وبتأثير المبادئ الجديدة البلشفية رفض

(1) اوديسا: مدينة في الاتحاد السوفياتي اليوم تقع على الساحل الشمالي الغربي من البحر الأسود.
(2) **علي حسون :** المرجع السابق، ص170.
(3) أرضروم: مدينة في شرقي تركيا اليوم.
(4) نفسه،ص171.

بعض القوقاز هذه المرة مساندة السلطة. وقام الثائرون بالسيطرة علي بطرسبورغ وألقي القبض علي"القيصر نيقولا الثاني"[1] وهو يحاول العودة من مقر أقامته إلي بطرسبورغ وإعادة موظفو السكة الحديدية إلي مقر الأركان، وهناك تشاور القادة ونصحوه بالتنازل عن العرش وحدث هذا فعلا[2]. بذلك قامت روسيا بالانسحاب من الحرب العالمية الأولى منهزمة بسبب الثورة البلشفية، ومعها في نفس التوقيت تقريباً نهاية الدولة العثمانية وأنهيارها عام 1924م.

النتائج

- هزيمة الدولة العثمانية في بداية لبقرن التاسع عشر كان بداية لسلسلة من الهزائم المتتالية على يد الروس مما أضر بالدولة العثمانية سياسياً وحربياً واقتصادياً.
- قضاء السلطان محمود الثاني على الانكشارية أصبحت الدولة العثمانية دون درع وسيف يحميها.
- طمع الروس في حدود الدولة العثمانية وممتلكاتها في البلقان العثماني معتقدين أنها بذلك لقمة صائغة وسهلة المنال.
- قام الروس بأستغلال الشعوب السلافية لإثارتها وتأليبها ضد الدولة خاصة (الصرب والبلغار والأفلاق والبغدان).
- عدم الإلمام بالأحداث الدولية الجارية من قبل الساسة العثمانيين أضر كثيراً بمصالح الدولة ومجريات الأحداث ومستقبلها.
- ظلت الدول الكبرى تحافظ على وجود الدولة العثمانية حتى قيام حرب الـ 93 (الحرب العثمانية الروسية الأخيرة) عام 1877-1878م، حتى تركوا الدولة تواجة مصيرها من الأنهيار.
- وبعزل السلطان عبدالحميد الثاني فقدت الدولة الثبات التي كانت عليه طول تلك الفترة حتى عام 1908م.
- بعد تولي جمعية الأتحاد والترقي الأمور السياسية في الدولة العثمانية كانت في طريقها إلى الأنهيار.
- مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)بجانب ألمانيا كان ذلك بمثابة أطلاق رصاصة الرحمة على جسد الدولة لتركها بعد ذلك للأنهيار عام 1924م.
- ونتيجة طبيعية لإستنزاف القوى السياسية والعسكرية والاقتصادية للدولة العثمانية وروسيا القيصرية في الحرب العلمية الأولى أدى ذلك لأنهيار الإمبراطوريتين.

نتائج الحروب:

م	الحرب	النتيجة
1	الحرب الروسية العثمانية (1806-1812م)	انتصار روسيا
2	الحرب الروسية العثمانية (1828-1829م)	انتصار روسيا
3	الحرب الروسية العثمانية (1853-1856م) (حرب القرم)	انتصار بريطانيا، وفرنسا، ومصر، والعثمانيين
4	الحرب الروسية العثمانية (1877-1878م)	انتصار روسيا، بلغاريا، رومانيا، صربيا والجبل الأسود
5	الحرب العالمية الأولى: الحملة القوقازية (1914-1918م)	أنهيار الإمبراطوريتين

([1]) نيقولا الثاني: ولد في 18 مارس عام 1868م في مدينة بوشكين، وتوفي في 29 يونية عام 1918م في مدينة سفيردلوفسكي وهو آخر إمبراطور روسي وقد تم إعدامه بأيدي البوشفيك بعد أن تمكنوا من السيطرة على البلاد. وتزوج عام 1894م من امرأة تنتمي لعائلة كبيرة وهي الأميرة الألمانية ألكساندرا ورقي إلي العرض عام 1895 وأدعي بأنه الحاكم ذو الحق المقدس وبعد هزيمة بلاده بالحرب الروسية اليابانية عام 1904 – 1905 م أجبر على الموافقة على الدستور وفي عام 1917م وعندما تبين أن النصر الألماني على روسيا هو محتوم فإنه خلع من قبل الثوريين ثم قتل هو وعائلته في السنة اللاحقة.

([2]) **علي حسون :** المرجع السابق، ص171-172.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- اسمعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، المطبعة الأميرية ببولاق، ط1، 1312 هـ.
- سليم فارس: كنز الرغائب في منتخب الجوانب، مطبعة الجوانب، ط1، استانبول 1349 هـ.
- عبد الرحمن الجبرتي: عجائب الآثار عن التراجم والأخبار، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، القاهرة، 2012م.
- مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني: ترجمة محمد حرب، دار الحياة، ط1، القاهرة، 2014م.

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، ط2، الرياض، 1998م.
- أكمل الدين إحسان أوغلي: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، ط1، القاهرة، 2011م.
- تشارلز بيلافيتش، بربارا بيلافيتش: تفكك أوروبا العثمانية "إنشاء دول البلقان القومية" (1804 – 1920)، ترجمة: عاصم الدسوقي، دار العالم الثالث، ط1، القاهرة، 2007م.
- تهاني شوقي عبد الرحمن: الأصول التاريخية للمسلمين في البلقان، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2010م.
- حسين لبيب: تاريخ المسألة الشرقية، مطبعة الهلال، ط1، القاهرة، 1921م.
- حسين مؤنس: الشرق الإسلامي في العصر الحديث، مطبعة حجازي، ط2، القاهرة، 1938م.
- حقي العظيم: تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان، مطبعة الشرقي، ط1، القاهرة، 1902م.
- زوات عرفان المغربي: العلاقات المصرية اليمنية "النصف الأول من القرن التاسع عشر"الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2010م.
- السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب (1840 – 1909م)، معهد الدراسات العربية، ط1، القاهرة، 1970م.
- سيد محمد السيد: دراسات في التاريخ العثماني، دار الصحوة، ط1، القاهرة، 1996م.
- شكيب أرسلان: تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق: حسن السويدان، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 2011م.
- عبد الحكيم عبد الغني قاسم: العلاقات الدولية بين أوروبا والشرق (1789 – 1919) مكتبة مدبولي،ط1، القاهرة، 2009 م.
- عبد الرؤوسف سنو: النزاعات الكيانية في الدولة العثمانية (1877 – 1881 م) بلاد الشام، الحجاز – كردستان – ألبانيا ميسان للنشر ط1، بيروت، 1998م.
- عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.
- عبد العزيز محمد عوض: الإدارة العثمانية في ولاية سوريا (1864 – 1914م)، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1969م.
- علي حسون :العثمانيون والروس، المكتب الاسلامي، ط1، بيروت،1982م
- علي حسون: تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، ط3، بيروت، 1994م.
- عمر طوسن: الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم (1853 – 1855)، دراسة حمدنا الله مصطفي، دار الكتب والوثائق، ط1، القاهرة، 2008م.
- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أوربا الحديثة والمعاصر (1815 – 1919)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 م.
- عمر عبد العزيز عمر: محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د.ت).

- فشر. هـ. أ: تاريخ أوروبا في العصر الحديث (1789 – 1950 م) ترجمة: أحمد نجيب، وديع الضبع، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1953م.
- كاميران عبد الصمد: كوردستان العثمانية"في النصف الأول من القرن التاسع عشر"، دار سبيريز للنشر، ط1، العراق، 2002م.
- محمد أسامة زيد: منهل الظمآن لإنصاف دولة آل عثمان، دار ابن رجب، ط1، القاهرة، 2012م.
- محمد صبري الدالي: القوي الأوروبية الكبرى والصراع الروسي العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، 2014م.
- محمد فريد: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، ط1، بيروت، 1981م.
- محمد فؤاد شكري: الصراع بين البرجوازية والإقطاع (1789 – 1848م)، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، القاهرة، 2008م.
- نادية مصطفي وآخرون: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي"العصر العثماني من القوة والهيمنة إلي بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، القاهرة، 1996م.
- هانس كهن: القومية معناها وتاريخها: ترجمة: أمين محمود الشريف: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1، القاهرة، 2011م.
- هنري دودويل: الإتجاه السياسي لمصر في عهد محمد على مؤسس مصر الحديثة، ترجمة: أحمد عبد الخالق بك، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2007م.
- وليد رضوان: العلاقات العربية التركية: دور اليهود والتحالفات الدولية والإقليمية في العلاقات لعربية التركية"العلاقات السورية – التركية نموذجا شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت 2006م.
- يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية (السياسي والعسكري والحضاري)، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 2010م.

ثالثا: المراجع التركية :

- Kemal soyupaki: Kara Kuvvetleri cumhuriget donemi turkiya ansix lopedisi, e. 16, Ankara, 2002.
- Vrnit ozdag: ordu ve sigaset ilisi, gundogah yoymlari, Ankara, 1991.

ثالثا: المراجع الاجنبية:

- Hasluck. F: Christianity and Islam undar the sultans, vol2.
- Illiam Miller : The Ottoman empire and its succesors (1801 - 1927) , London ,k 1966.
- Ramsauur E: The yang Turks prelude to the revolution of.
- Stanford, J.Shaw: Historis of the Ottoman Empire And modern Turkey, (Cambridge, 2005).